تمظهرات السؤال في شعر البردوني

د. أمين صالح أحمد العلياني
قسم اللغة العربية كلية التربية صبر. جامعة لحج – اليمن
aminalyani2020@gmail.com

التقديم: 2022/2/12 القبول: 2022/5/24 النشر: 2023/3/15

Doi: https://doi.org/10.36473/alustath.v62i1.1926

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licenses

الملخص

يهدف هذا البحث إلى قراءة بنية السؤال في شعر البردوني، وذلك لأن السؤال يشكّل ظاهرة رئيسة تتمظهر في صيغ وتشكلات موضوعية وفنية يتضمنها الشعر، الذي يشكل في حد ذاته سؤالاً كبيراً يبحث في تفسير العالم، والوقوف على أسرار الحياة والوطن والتاريخ والكون بكل تفاصيله. خلص البحث إلى النتائج الآتية: إن السؤال في شعر البردوني ظاهرة موضوعية يتم عبرها تأليف الوطن وتشكيله شعرياً، وتعرية الواقع بهدف اصلاحه وتنقيته من الذبول، واستعادة التاريخ للاستفادة منه وتقييم الحياة والذات حتى صار معادلاً موضوعيا لهما طموحاً وانكساراً. كما السؤال في شعر البردوني يمثل تحولاً فنياً ناضجاً، حيث استطاع من خلاله أن ينقل القصيدة من صوتها الذاتي الغنائي إلى أصوات متعددة وأبعاد أكثر موضوعية.

الكلمات المفتاحية: تمظهرات، السؤال، الشّعر، البردوني.

Manifestations of the Question in Al-Baradouni's Poetry

Dr. Amin Saleh Ahmed Al-Olayani
Department of Arabic Language College of Education Saber University of Lehj/ Yamen
aminalyani2020@gmail.com

Abstract

This research aims to read the structure of the question in Al-Baradouni's poetry, because the question constitutes a major phenomenon that appears in objective and artistic forms and formations contained in poetry, which in itself constitutes a great question looking at the interpretation of the world, and standing on the secrets of life, homeland, history and the universe in all its details. The research concluded with the following results: The question in Al-Baradouni's poetry is an objective phenomenon through which the homeland is composed and poetically formed, and reality is exposed with the aim of reforming and purifying it from withering, restoring history to benefit from it and evaluating life and self until it became an objective equivalent to them both ambitious and refractory. A mature artistic transformation, through which he was able to transfer the poem from its own lyrical voice to multiple voices and more objective dimensions.

Keywords: manifestations, question, poetry, Al-Bardoni.

مقدمة:

تمثل تمظهرات الأسئلة في خطاب الشعر العربي الحديث عامة إحدى الوسائل التعبيرية التي شكّلت رؤية الشعراء في منازعهم الشعرية في الحداثة وتحولاتها الإبداعية، ومن ثم الكشف عن خلجات ذوات الشعراء الشعورية، وحقائقهم النفسية الداخلية، وعوالمهم الفلسفية، وأبعادهم الإنسانية والوطنية والقومية والتأملية.

ويعد الشاعر البردوني أحد شعراء الحداثة الذي شكل السؤال في خطابه الشعري مساحة كبيرة، وتمظهراً احتضنته المناحي الموضوعية، وشكلّته التشكيلات الفنية، الأمر الذي جعل الشاعر البردوني يحتل منزلة كبيرة بين شعراء الحداثة الذين استخدموا السؤال في تمظهراته الفلسفية العميقة والمتجلية في صنوف أكثر تميزاً واحترافاً، ممَّا جعل مؤهلات حداثته السؤالية بعطاءاتها الموضوعية والفنية الإبداعية في حدود قصيدته العمودية، تزخر بالرؤيا الإبداعية المتميزة.

وتكمن أهمية البحث في أنَّه يتناول موضوعاً جديداً يتمثل في تمظهرات السؤال في شعر عبد الله البردوني، بوصف السؤال رسالة شعرية مكتنزة تتوجه إلى مساءلة الآخر أو الواقع أو الكون ومحاورته والتأمل فيه من جهة، ومعبرة عن عوالم خبيئة تكتنز تحتها دلالات جديدة جاءت لتكشف عن جوانب إبداعية في مسار التجربة الشعرية الكلية لدى الشاعر البردوني من جهة أخرى.

كما يحاول البحث أن يقرأ تمظهرات السؤال في شعر البردوني المشكَّلة لرؤيته الموضوعية، بوصفها مظاهر تحدد مواقفه، من الوطن والكون والحياة هذا من جهة، ومن جهة أخرى جاءت في تشكيلات فنية تجسد إبداعية الكيفية التي جاء عليها السؤال الممزوج بنزعة درامية وسردية ملحمية تارة، ومظاهر بنائية تمظهرت في منازع سوريالية وفنتازية وقناعية تارة أخرى.

جاء البحث في مقدمة، ومدخل نظري يوضح مفهوم السؤال ومعانيه اللغوية والاصطلاحية والبلاغية والفلسفية وأخيرا مفهومه في النص الشعري، وصولا إلى هيكلية البحث التي جاءت في مبحثين، جاء المبحث الأول ليبيّن تمظهرات السؤال في الموضوع الشعري، والمبحث الثاني، أسلوبية السؤال ودوائره البنائية، ومختتماً بنتائج وقائمة للمصادر والمراجع.

مدخل:

تعددت تعريفات السؤال في المعاجم اللغوية والبلاغية والنقدية من حيث المفهوم والمصطلح، فالسؤال في المعاجم اللغوية مأخوذ من مادة (سأل، يسأل، سؤالاً)، ويقال: سألته عن الشيء أي: استخبرته (ابن منظور: 1996، مادة سأل)(Ibn Manzur : 1996.Asked Subject).

يذهب بعض اللغويين إلى أن السؤال يحمل معاني أخرى، منها المحاسبة والاستفسار والدعاء والاستخبار والاستعطاء، وهي معان ترتبط بالتخاطب والتفاهم وتبادل الآراء والأفكار والتعلم والانتفاع استنادًا إلى الدلالات المعجمية في العربية (ابن منظور، 1996، مادة سأل)(Ibn Manzur : 1996.Asked Subject)، بينما ذهب البلاغيون إلى عدِّ السؤال مصطلحاً ينسحب على الفهم، فيقال استفهمته: أي سأله أن يفهمه، بحيث

يكون سؤالاً موضحاً للمعنى المراد فهمه في الوقت الذي يكون المتلقي على غير علم به (أبو الحسن، 1969، ص113)

(Abu Al-Hasan.1969.P.113). بينما يرى بعض البلاغيين أن السؤال البلاغي (Rhetotcol Question) هو سؤال لإحداث تأثير أو لتقرير حقيقة وردت من دون توقع لتلقي إجابة، لغرض من مثل هذا السؤال الذي تكون إجابته واضحة وهو إحداث تأثير في السامعين أو القراء أعمق من تأثير العبارة المباشرة (فتحي، 1988، ص200)(Fathi.1988.P.200). وهذا المعنى الذي قال به السؤال البلاغي (Rhetotcol Question) أو المسألة البلاغية تجد ما يقابله في اللغات الإنجليزية (Question) واللاتينية (Quaestio) والفرنسية(Question) (صليبا، 1982، ص674)(Salibia.1982.P.674).

وعند الفلاسفة يعرف السؤال بأنه ما يسأل؟، ويقصدون به استدعاء المعرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة، ويجعلون ما يتعلق بالمعرفة، ما يكون هو للاستفهام والاستخدام تارة، وللتعريف والتبيين تارة أخرى (صليبا، 1982، ص675) (Salibia.1982.P.675). أما السؤال عند الفلاسفة لا سيما ما يتعدى الى مفعولين بنفسه فيكون معناه الطلب والالتماس بعكس السؤال الذي يتعدى بنفسه مفعولاً أولياً، والمفعول الثاني يعتداه بمن (حرف الجر) الذي يكون معناه الاستفسار (صليبا، 1982، ص675، 676) (Salibia.1982.P.675 676). ويدل السؤال على الاعتراض وبالسائل على المعترض فيكون السائل من نصب نفسه لنفي الحكم الذي ادعاه المدعي بلا نصب دليل عليه، يطلق على ما هو أعم، أي على كل ما تكلم به المدعي (صليبا، 1982، ص675، 676) (Salibia.1982.P.675 676).

يكون السؤال فاعلية جدلية، يشترط فيه أن يكون مطابقاً لموضوعه بلا زيادة أو نقصان، لكي يضمن مشاركة المتلقي، ويفتح معه قناة حوار؛ لأن المبدع حين يصطنع جدلاً مع المتلقي، يكون قد اشركه معه في بناء المعنى اشراكاً ضمنياً، ويمنحه حق النقض، وهذا أهم ما يميز السؤال الجدلي (يوسف، 2001، ص7)(Yousif.2001.P.7). واشراك المتلقي هذا لا يكون بالإجابة عن أسئلة المتكلم، بل بالإقرار ضمنياً بآرائه أو دفعه لاتخاذ موقف ازاء قضاياه المطروحة في كلامه، حتى يصبح المتلقي طرفاً فاعلاً وايجابياً في عملية الاقناع (الشامي، 2019، ص30)(Al-Shami.2019.P.30). والسؤال الذي يستمد حضوره من فاعلية جدلية غالباً ما يتسم بطابع درامي يعكس صراع الانسان مع تناقضات الحياة، ويجسد حيرته تجاه قضايا الوجود والمجتمع، بحيث يقوم الشاعر في هضم بؤر الصراع، ورصد المتناقضات في تشكيل تعبيري يستطيع من خلاله أن يقدم انتاجا دراميا ويقيم بناء فلسفياً يفسر من خلاله الحياة والأشياء تفسيراً خاصاً (الشامي، 2019، ص30) (Al-Shami.2019.P.30)

ويعول اللسانيون على السؤال من خلال عدة مسارات، منها: جذب انتباه القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال، كي يشركه بحكم قوة خواص التشكيل الأسلوبي وظواهره البنائية هادفاً إلى خدمة مقاصد الخطاب وغاياته الدلالية كي يحقق قوته التأثيرية والاقناعية (الحواس، 1997، ص341)(Al-Hawasu.1997.P.341).

وبرى الشاطبي(590هـ) أن "الأسئلة إما أن تكون اختيارية أو أن تكون تفكيرية، تهدف إلى لفت الانتباه أو أنها أسئلة تعريفية تهدف إلى معرفة الإنسان وما يجهل وما يحتاج من أمور" (الشاطبي، 1997، ص311)

(Al-Shatby.1997.P.311). وهو ما يسمى بطريقة البحث العلمي المشتملة على الأسئلة بطريقة الاستقصاء أو طريقة السؤال (Question naire)، التي بيَّنها (ربيوت/ Ribot) في صورتين: الأولى شفهية والثانية كتابية (صليبا، 1982، 676) (Salibia.1982.P..676).

ويتبنى البحث مصطلح (تمظهرات السؤال في شعر البردوني) بوصفها أسئلة سيطرت على ذهن الشاعر البردوني من خلال التأثير والاقناع اللذين يعدان ركيزة الدرس التحليلي وعماده عبر تحقيق أهم ميزات السؤال التي تتمثل في الأبعاد الموضوعية والتشكيلات الفنية الجمالية التي تحقق مسار توجيه المتلقي/الناقد إلى خيار واحد يرومه السائل ليصبح المرسل يستعملها في السيطرة على مجريات الأحداث ليحقق غاية الهيمنة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب على وفق ما يرده المرسل لا حسب ما يريده الآخرون(الشهري، 2004، ص123)

(Al-Shhary.2004.P.123)، أو مسارات نفسية ورمزية التي يتخذها السؤال أو يكشف عنه في طريق التأثير في المتلقي إقناعياً وجمالياً ويكشف عنه بالنسبة للمبدع توتراً وانفعالاً (بلبع، 1999، ص66)(Balbaa.1999.P.66).

والسؤال في الشعر يعد تمظهرات تعبيرية تصدر من المبدع (الشاعر)؛ لتكون قادرة على الإدهاش وخلق المفاجأة لدى المتلقي. وبهذا يغدو السؤال هو الوسيلة التعبيرية لدى الشاعر عن كوامنه الدفينة وما ينتابه في أثناء الخلق الشعري من حيرة وتوتر أزاء الوجود والكون والحياة؛ لأن الشاعر في هذه الحالة التي تنتابه "يبحث عن المسببات المختفية في ضبابية المشاعر والعلاقات المتوترة بينه وبين الآخر، وفك طلاسم خطاب الأشياء الجامدة المصرة على الحوار وسحب الشاعر إلى بساطها المفرداتي وأفقها التعبيري الخاص" (الأمارة، 2009، ص1) (Al-Amarah.2009.P.1).

المبحث الأول:

تمظهرات لسؤال في الموضوع الشعري:

(1) تمظهرات السؤال في تشكيل الوطن من خلال الحب والانتماء:

قد يغدو الشعر وطناً تؤلفه الكلمات من خلال الحب والانتماء حتى تصبح الألفة والمعايشة تمظهرات لغوية تأتي في صيغ سؤالية ليس من يصنعها المبدع (الشاعر) في هيئات من الكلمات التي تعمل على تأليف الوطن وتشكليه فحسب، بل ومن خلال الشعر ذاته، حتى يصبح الوطن هو الشعر والشعر هو الوطن.

فالحب ـ مثلاً ـ لا يتمظهر في شكل درجات تتفاوت في مقاييسها، بل يكون في منتهى درجات من الألفة والاعتياد من جهة، ونسيانه بصورة اختيارية قاسية من جهة أخرى، لكن بالإرادة القوية هي من تجعله أمراً مألوفاً.

ففي قصيدة (اعتيادان) يتمظهر لنا الحب في صيغ سؤالية مبطنة كيف عمل على تكوين وتأليف الوطن من جهة؟، وكيف اعتاد نسيانه من جهة أخرى؟، كما يقول: (البردوني، 2010، ص584) (Al-Baradouni.2010.P.584)

لم أكن (شهريار) لكن تمادت عشرة صورتك لي (شهرزادا)
كان حبي لـــك اعتياداً وإلفا وسأنساك إلفـــةً واعتيادا

وحين يقرأ الباحث قصائد الشاعر البردوني السياسية والاجتماعية يدرك أن تمظهرات الأسئلة التي يبطنها في عمق الرفض، وليس الرفض الذي يكون لمجرد الرفض، بل الرفض الذي يكون محمولاً على جناحي التشكيل والتأليف لهذا الوطن بصورة واضحة، كما يقول:(البردوني، 2010، ص907) (Al-Baradouni.2010.P.907)

لأني رضيع بيان وصرف أجوع لحرفٍ، وأقتات حرف
لأني ولدت بباب النحاة أظل أواصل هرفاً بهرف
أنوء بوجه، كأخبار كان بجنبين من حرف جر وظرف
أعندي لعينيك يا موطني سوى الحرف أعطيه سكباً وغرف

وعندما يكون الشعر هادفاً إلى تأليف كيان هذا الوطن لا تأتي تمظهرات السؤال مبطنة، بل تأتي صريحة وواضحة تعبر مساحة، تجعل السؤال يتمظهر في مظاهر تستمد من التاريخ أبعادها لتكون قادرة على تأليف هذا الوطن الذي تمَّ تشكيله عبر الشعر، كما يقول:(البردوني، 2010، ص907) (Al-Baradouni.2010.P.907)

أتسألني: كيف اعطيك شعراً وأنت تؤمَّل، دوراً وجرف
افصل للياء وجهاً بهيجاً وللميم جيداً، وللنون ظرف
أصوغ قوامك من كل حسن وأكسوك ضوءاً ولوناً وعرف

وقد يتمظهر السؤال في صيغ متعددة تعمل على خلق علاقة جديدة تهدف إلى تأليف هذا الوطن وبنائه من خلال مظهر الحرية؛ لأن الشاعر يعلم أن لا رهان في تأليف هذا الوطن إلا عبر رهان الحرية التي تعيد بناءه، وتحافظ على مكتسبات ثورته، يقول:(البردوني، 2010، ص510) (Al-Baradouni.2010.P.510)

أتدرين يا شمس ماذا جرى؟ سلبنا الدجى فجرنا المختبي
أتدرين أنـــا سبقنا الربيع نبشر بالمـــــوسم الطَّيبِ
ومــاذا؟ سؤال على حاجبيك تزنبق فـــي همسك المُذهبِ

وحين يحتجب الوطن خلف تلك الأشياء الخفية يأتي السؤال كاشفاً عن مظاهر استغرابية، لاسيما عندما يغير من صورته، على الرغم من معرفته له بيتاً بيتاً؛ لتأتي الجوابات كاشفة عن مظهر الرفض لتلك العلاقات الجديدة التي تشكل وطنه المليء بالبشر، الذين لا تربط بينهم أي علاقة غير علاقة الحب والتآلف، كما يقول: (البردوني، 2010، ص585، 586) (Al-Baradouni.2010.P. 585,586)

هل هذه صنعا؟ مضت صنعا سوى كسر بوالي
من أين يا اسمنت امشي؟ ضاعت الدنيا حيالي
أين الطريق إلى (معمر)؟ يا بناتي يا عيالـــي
من يعرف (النهرين)؟ من أين الطريق إلى(القزالي)؟
من ذا هناك؟ مسافر مثلي يعاني مثل حالـــــي

فالوطن عندما يتأسس على ترابط اجتماعي متين أساسه الحب الألفة والطمأنينة نجد الذات الشاعرة تعمل على تأليفه وبنائه، لكن عندما يغيب هذا الركن الأساس، يصبح الوطن مكاناً قاسياً، وجدراناً صماء لا حياة فيها، والوطن عندما يصبح مثل هذا، يبرز السؤال الذي تمظهر في صورة الثائر ضد العابثين كي يثور على ساكنيه، وينتفض على غزاته، يقول: (البردوني، 2010، ص586) (Al-Baradouni.2010.P.586)

أمي! أتلقين الغزاة بوجه مضياف مثالي؟
لم لا تعادين العداء؟ من لا يعادي لا يوالي.

وعلى هذا نرى الشعراء لاسيما عندما يعلنون ثورتهم ضد العابثين بكيان الوطن تكون غاية الأسئلة محققة بالألم والإحباط واليأس غير أن الشاعر البردوني في تمظهرات أسئلته يختلف عنهم؛ إذ تتمظهر أسئلته وتأتي مسكونة بالألم وبالأمل معاً، كما يقول: (البردوني، 2010، ص587) (Al-Baradouni.2010.P.587)

من أين أرجع أو أمرُّ؟ هنا سأبحث عن مجالي

فالشاعر حين يقول(من أين أرجع أو أمرُّ؟) عبر السؤال فهو يستشرف الفضاء الذي يظهر منه فجر الحرية بعد أن يثور على دجى المعاناة من خلال وضوح تجربة النضال التي لا تقبل الانكسار.

وعندما يتشظى الوطن بين تجارب نضالية متضاربة في المسار السياسي والأيديولوجي تأتي بنية السؤال لتكون كاشفة عن مسارات التحول الذي على وفقه صار وطن الشاعر مقسماً بين اتجاهين سياسين لا يقوم بينهما مفاضلة ويأتي الاتجاه الأول وهو اليساري في المسار الحاضر الوليد، في الوقت الذي ظل الاتجاه الثاني اليميني في انتهاج الدرب في المسار الماضي والحاضر الرتيب معاً، كما يقول: (البردوني، 2010، ص627)

(Al-Baradouni.2010.P.627)

أيساراً يا (صنعا) أمضي أمْ أنْتهجُ الدَّربَ الأيمَنْ؟
هل هذا الأحسنُ أم هذا؟ يبدو لا شيءَ هُنا أحسَنْ

وتعد دواوين البردوني الأولى (من أرض بلقيس، مدينة الغد، لعيني أم بلقيس) من أكثر دواوين الشاعر التي يتمظهر فيها السؤال في تشكيل الوطن، وعندما نرجع إلى عناوين القصائد في تلك الدواوين ترى كيف تشكل الوطن من خلال بنية السؤال. يقول – مثلاً – في قصيدة من أرض بلقيس: (البردوني، 2010، ص58) (Al-Baradouni.2010.P.58)

ما ذلك الشدو؟ من شاديه؟ إنهما من أرض بلقيس هذا اللحن والوتر

فالسؤال هنا(ما ذلك الشدو؟) جاء في جملة تقريرية؛ ليكشف عن شدو لا تحدده حدوداً ثم يأتي السؤال الصريح (من شاديه؟)، ليؤكد حالة الاتحاد بين الشدو والشادي فيما يجعل تأليف الوطن (من أرض بلقيس) مصدراً للشدو واللحن والوتر الذين يهزان الذات، ويجعلان منها أرضاً مشكِّلة لبنية الوطن.

ويأتي السؤال في قصيدة من ديوان لعيني أم بلقيس محدداً لمكان اللقاء الذي تغلى فيه صباباته وتحتويها كل أمكنته بصورة شمولية رائعة، كما في قوله: (البردوني، 2010، **ص572)** (Al-Baradouni.2010.P.572)

وأسأل: أين القاها؟ فتغلى في صباباتي

وقد يأتي السؤال في تمظهر استغرابي(من أنت؟) لكن الجواب قد يسبق السؤال(واستبقت جوابي) كما يقول من قصيدة عائد من ديوان مدينة الغد:(البردوني، 2010، ص420) (Al-Baradouni.2010.P.420)

من أنت؟ واستبقت جوابي: لهبٌ يحنُّ على التهاب

وقد يكرر السؤال في تمظهر استغرابي آخر (من أنت؟) لكن الجواب هذه المرة يأتي مغايراً ليخلق مفارقة عجيبة (عزاف الأسى والنار قيثار العذاب)، كما في قوله: (البردوني، 2010، ص420) (Al-Baradouni.2010.P.420)

من أنت؟ عزاف الأسى والنار قيثار العذاب

وأنا، أتدري من أنا؟ قل لي، واسكرها اضطرابي

وهكذا تصبح العودة إلى مدنية الغد منحى من مناحِ الشاعر التي جاءت في نسيج مقسم بين إنشاء وإخبار يحاول من خلالهما أن يمنح الوطن سؤالاً موضوعياً ينوب عن الذات التي تحل في الوطن وهو يحل فيها.

(2)تمظهرات السؤال في تشكيل التاريخ شعرياً:

قد تأتي مقاربة التاريخ وتوظيفه في نصوص البردوني الشعرية واستدعائها، مُنطلِقاً شعريا تقوم على التساؤل الذي يحقق فائدة يحظى بها النَّص الشعري من خلال هذا الاستدعاء المحقق للهوية والكينونة. فقد يبنى السؤال على كيفية تحدد مسار من التركيب القائم على الاستغراب لتأتي الجوابات كاشفة عن تحولات في مسار التجربة الشعرية الناضجة، كما يقول: (البردوني، 2010، ص1386، 1387) (Al-Baradouni.2010.P. 1386,1387)

مَنْ يدعو هل زمني أوْمضْ؟ نهض (الدجّالُ)، سُدى تنهضْ

روّضتُ الريحَ لأسبقهُ وغدا السبّاق، فما روّضْ
أمِن اليوم اجتاز الماضي واحتاز الآتي، أو أجْهضْ؟
مَنْ يعطي العانين (الجرضا) أملاً حتى أعنى، أجرضْ؟

فاستدعاء التاريخ وتوظيفه – هنا– يوحي على قدرة الشاعر الكبيرة على توظيف الرصيد التاريخي في الشعر؛ بهدف إثارة ذائقة المتلقي؛ لأن استدعاء التاريخ تجده مشحوناً بدلالات ذات حقائق سابقة وخارجة عن النص، فالأسماء التاريخية المرتبطة بالمكان تعمل على تنشيط مخزون التاريخ في المتون الشعرية، والأسماء التاريخية تعمل على إيقاظ مخزون المعرفة عن طريق الماضي، والأسماء الثقافية تعمل على تحريك الذاكرة الجمعية وتنشيط المخزون الثقافي بصورة واسعة. ولذا فإنَّ الشاعر البردوني عندما يَستخدم اسماء تاريخية " فهو يُحاول أن يراعي أو أن يحترمَ رصيد القارئ الثقافي" (الرقيق، 1998، ص141) (Al-Raqiq,1998,P.141).

ومن القصائد التي يتجلى فيها التاريخ في هيئة مشروع فلسفي يحكي من خلالها الشاعر عن حقائق تاريخية، كما يقول: (البردوني، 2010، ص847، 848) (Al-Baradouni.2010.P.847,848)

من ذا يُصوّت من هناك ويختفي؟ ماذا هناك؟ دم يشع وينطفي
مشروع فلسفة... يصيح سكوته إني أُنضج في حشاي مفلسفي
إني أفتش في أواخر منكبي عن نصف جمجمتي، وأول أحرفي
رجعٌ نواسيٌّ : أدار (زبيدة) رحلت... غدت من معتفيها تعتفي؟
كل حكى... أحكي، أتدري يا هنا إني كتاب جئت قبل مؤلفي؟
أيقول من ألقى رصيف عابر أم (قرمطي) في قميص (مطرفي) ؟

فالتداخل بين السؤال والتاريخ جاء في هيئة صور إبداعية تقوم على الاسترجاع لكي تحيل المخزون المعرفي الكبير إلى معاني ذات حضور مرجعي فاعل، "وقد يلجأ الشاعر أحيانًا إلى هذا المخزون؛ بعد أن يستثمره عبر مجموعة من الأسئلة؛ التي تهدف إلى إغناء النص وشَحْنه بدَفق إيحائي عميق (مجاهد، 2006، ص388) (Mujahid.2006.P.388)، بحيث تعتمد هذه الأسئلة على قوة تأثيرية تقوم على إظهار الحقائق التاريخية وإبرازها لكي "تستغل النصوص الشعرية بمختلف أنواعها؛ بهدف تعزيز المعنى وتقويته" (مفتاح، 1985، ص245) (Mofatah.1985.P.245).

ومن هنا نجد الثيمات الفنية والجمالية تحضر في ذِهن المتلقي بمصاحبة حمولتها الدَّلالية وهي تتوزع بين حضور تاريخي فائت، وحضور شعري قائم على تقنيات سردية ودرامية تتحقق عبر مجموعة من الصيغ السؤالية التي تهدف إلى خلق قوة تأثيرية تكون قادرة على الإقناع. كما يقول: (البردوني، 2010، ص1339، 1340)(Al-Baradouni.2010.P.1339,1340)

لماذا أتيت؟ لأني أتيت وتعليلُ هذا أمضُّ اعتلالْ
لأن بقلبي بلاداً تجولُ ومنها إليها أُعنِّي المجالْ

فالنص الشعري – هنا– حين يؤسس على عَلاقات توطن واقعه بنسيج من الترابطات تتمثل في تقنيات سردية واسترجاعات تاريخية، نجد أن الصيغ السؤالية نفسها تقوم على توطين العلاقة ذاتها بين نمطين من أنماط الخطاب: هما الخطاب السردي والخطاب التاريخي.

وهكذا فإنَّ أغلب الثيمات العلاماتية دَلالة هي التي يعمل عليها الشاعر على تسطير نصوصه الشعرية بصيغ سؤالية تكون كاشفة عن الحقائق التاريخية، ويجعلها أكثر استرجاعاً لذلك المخزون التاريخي، عبر الثيمات التي تحيل المعاني إلى فواعل نصية على المستوى الواقعي.

وحين يعود البردوني كي يحاور الزمن الماضي نجده باحثاً عن وطنه عبر تمظهرات السؤال التي تكشف عن رؤيته ووضوح فكره والحكمة الطالعة من أقواله من جهة، وعن الشوق إلى رجعة ذلك الحكيم والحنين إلى زمنه من جهة أخرى، كي يكشف عن مسار ذاك الزمن الجميل أو الزمن الذي كان يتخيله جميلاً، كما يقول: (البردوني، 2010، ص523) (Al-Baradouni.2010.P.523)

هل كنتُ في عصر بلا دولة فوضاه أرقى من نظام المدى

والمتمعن في دراسة القصائد التي جنح بها الشاعر البردوني إلى استرجاع التاريخ، ترى أنه يقدم سيرة الشعب بوصفه تاريخاً للناس والبلاد، كما أن اهتمامه بالثقافة الشعبية وألوانها الأدبية هو بحث عن التاريخ الغائب، تاريخ الناس الذين دوّنوا تاريخهم حكمة أو شعراً عامياً أو حكايات" (علي، 2009، ص11) .(Ali.2009.P.11)

(3) تمظهرات السؤال في تعرية الواقع شعرياً:

فالسؤال غالباً ما يكون في الشعر هو ضوء المعرفة التي تكشف عن الخبايا المستورة والخفايا المجهولة وبهذا فالسؤال يسير بالخطاب الشعري من عتمة المجهول إلى دلالات أكثر احتمالية لكي يكشف عن زيف الواقع ومحاولة تعريته. والسؤال في النص الشعري لدى الشاعر البردوني يحاول أن يكشف عن زيف الواقع وتعريته، كما يقول: (البردوني، 2010، ص632)(Al-Baradouni.2010.P.632)

لماذا العدوُّ القصيُّ اقتربْ؟ لأنَّ القريبَ الحبيب اغتربْ
لأنَّ الفراغَ اشتهى الإمتلاءَ بشيءٍ فجاء سِوى المُرتَقبْ
لأنَّ المُلقّن واللَّاعبين ونظّارةَ العرض هُم من كَتبْ
لماذا استشاطَ زحام الرَّمادِ؟ تذَكَّر أعراقَه فاضطربْ
لأن (أبا لهبٍ) لم يمُتْ وكلُّ الذي مات ضوءُ اللَّهبْ
فقام الدخان مكان الضياء له ألف رأسٍ وألفا ذَنَبْ
لأنَّ الرياح اشترت أوجهاً رجاليَّةً والغبار انتَحَبْ

فالشاعر يقدم صيغه السؤالية (لماذا العدوُّ القصيُّ اقتربْ؟؛ لأنَّ القريبَ الحبيب اغتربْ، لماذا استشاطَ زحام الرَّمادِ؟)؛ لتأتي الجوابات بشموليتها كاشفة عن زيف الواقع بكل أحواله وأشكاله (لأنَّ الفراغَ اشتهى الإمتلاء بشيءٍ فجاء سِوى المُرتَقبْ؛ لأنَّ المُلقّن واللَّاعبين، لأن أبا لهبٍ لم يمت، لأن الرياح اشترت

أوجهاً). ونلاحظ أسلوباً من تكرار بنية السؤال، وإعادته بصيغة(لماذا) محققاً أهداف مقصود منها كشف زيف الواقع وتعريته شعرياً.

واستنتاجاً مما سبق: إن الشاعر البردوني يمتاز بشعرية قائمة على السؤال أو التساؤل أو الأسئلة ذات العمق الفكري والفلسفي، التي تدهش المتلقي وتباغته بالمفاجآت.

وتسير الأسئلة في نصوص البردوني الشعرية على هذا الطريقة البنائية لتمثل مساراً أسلوبياً يدهش المتلقي، كما في قوله:(البردوني، 2010، ص633) (Al-Baradouni.2010.P.633)

لماذا الذي كان ما زال يأتي؟ لأنَّ الذي سوف يأتي ذهبْ
لأنّ الوجوه استحالتْ ظهوراً تُفتّش عن لونها المُغتَصَبْ
لأنّ المُغنِّي أحبَّ كثيراً كثيراً، ولم يدْرِ ماذا أحَبْ
لماذا تُمنِّي الظروف الحنين فتُغري وتعرض غير الطلبْ

يتصدر السؤال بنية المقطع الأول والأخير؛ ليمنح الجوابات التي تهدف إلى تحقيق، غايتين: الأولى وتتمثل في السؤال (لماذا الذي كان ما زال يأتي؟)، لتأتي الجوابات في بنية سردية كاشفة عن حالات من الاستغراب في الواقع السياسي الرتيب (لأنَّ الذي سوف يأتي ذهبْ؛ لأنّ الوجوه استحالتْ ظهوراً؛ لأنّ المُغنِّي أحبَّ كثيراً كثيراً)، وهذه جوابات تحمل أدوات فنية جاءت كاشفة عن زيف الواقع وتعريته.

أما الثانية في تتمثل في السؤال (لماذا تُمنِّي الظروف الحنين) فكان الجواب (فتُغري وتعرض غير الطلبْ). ويختتم المقطع بالسؤال كما أبتدأ به في (لماذا تُمنِّي الظروف الحنين فتُغري وتعرض غير الطلبْ)؛ ليخلق عملية مقارنة بين الحاضر والماضي اللذين يراهما الشاعر في دورة من التكرار بل هما انتاج من مأساة إلى أخرى

(4) تمظهرات السؤال في تشكيل الوجود شعرياً:

قد يتمظهر السؤال ليأتي تشكيلاً شعرياً للوجود والكون والحياة عبر اللغة، وتكون اللغة هي منطلق السؤال الذي من خلاله نجد الشاعر وجهاً لوجه أمام حقيقية الوجود والكون والحياة. وحين يتأطر السؤال بثوب الزمن الوجودي ترى كيف يكون منبعاً خصباً للإيحاء الايجابي، كما يقول: (البردوني، 2010، ص791)(Al-Baradouni.2010.P.791).

إلى أينَ؟ هذا بذاك اشتبَهْ ومِن أينَ يا آخر التجرِبَهْ؟
إلى أين؟ أضنى الرصيفَ المسيرُ وأتعبت الراكبَ المركبَهْ
إلى أين؟ مِن أين؟ يُدني المَتاهُ بعيداً، ويستبعدُ المَقرُبَهْ
سؤالٌ يوَلِّي، سؤالٌ يطلُّ ومن جلدها تهربُ الأجوبَهْ
ويأتي السؤال بلا دهشةٍ ويرتد كالهرَّةِ المُتعبَهْ

فالسؤال في هذا المقطع لا يستبطن جواباً كما في تمظهرات السؤال في تعرية الواقع شعرياً، بل نجده يكتسب ديمومة خاصة عند الشاعر البردوني؛ لأن الأجوبة كما عرفنا تحاول أن تفتك بالسؤال وتنهي شرعيته.

أما هنا فالسؤال يسير على وفق خطوط يحاول الشاعر من خلالها أن يشكل الوجود والكون بالطريقة التي يتخيلها عند الممارسة الشعرية.

والسؤال في هذا المقطع الشعري يشكّل الوجود، ويحتضن في طياته الرغبة العارمة في المجاوزة، ويحتوي الذات، ويعبر عن كوامنها، ويكشف عن طاقاتها، وليس هذا فحسب، بل قد يتجاوز تلك الدلالات إلى المدى الذي يصير فيه، وكأنَّه المعادل الموضوعي لكوامن الذات. فتكرار السؤال في هذا المقطع الشعري ينبئ بدلالات تشمل الوجود وتحتويه؛ لأن السؤال في هذا المثال يكتسب شرعيته من خلال ضرورة تحتمها الإثارة الوجودية.

وخلاصة ما سبق: نرى أن الشاعر البردوني سار بالسؤال موضوعياً في خصوصيات جمالية عالج من خلالها تأليف الوطن وتشكيل الوجود شعرياً، كم حاول أن يعري الواقع بهدف اصلاحه وتنقيته من الذبول، واستعادة التاريخ للاستفادة منه وتقييم الحياة والذات حتى صار معادلاً موضوعيا لهما طموحاً وانكساراً.

المبحث الثاني:

أسلوبية السؤال ودوائره البنائية:

من الممكن أن نعدُّ الشاعر البردوني عبقرية شعرية إبداعية فذة لاسيّما في القصائد التي تضم في احضان نصوصها الشعرية تعدد الأصوات؛ لأنه حاول أن ينقل صوت الأنا المفرد في قصائد أخرى، والتي صارت الغلبة فيها للصوت والصوت الآخر، للأنا والأنا، أو الأنا والأنت، فانتقلت القصيدة بذلك من الغنائية إلى الدرامية (اسماعيل، 2002، ص 1، 2)(Ismail.2002.P.1,2).

وعند التمعن في جوهر الشعر لدى البردوني الذي جعل من السؤال مبنى يمتاز بخصوصيات فنية أساسية جعلت من مبانيه ما يميزه عن سواه، ويختلف به عن غيره، ومن تلك الخصائص الفنية البارزة التي تمثلت في شعره في اتجاهين اثنين: الأول ويتمثل في الملامح الأسلوبية في صيغها الدرامية والسردية التي جاءت في عرض فكرة القصيدة ومعناها القائم على السؤال، والثاني ويتمثل في الدوائر البنائية التي تشكل مباني معمارية تتأسس على نوعية السؤال، وهندسة معناه في تشكيلات اتسمت بالفنية الجمالية.

أولاً الخصائص الدرامية والسردية لبنية السؤال:

يتحقق السؤال نصياً عبر مستويات تختص بالأداء الدرامي من جهة، وبالأداء السردي من جهة أخرى.

(أ) <u>المستوى الأول المتمثل في الأداء الدرامي</u> : ويتشكل هذا السؤال في ظاهرتين أسلوبيتين:

1. <u>السؤال الذي لم يتم:</u>

وعلى سبيل التمثيل فقد جاءت هذه الخاصية الأسلوبية قائمة على صوتين: صوت الأنا (الشاعر)، وصوت الآخر، (المحقق)، كما يقول: (البردوني، 2010، ص 727، 728) (Al-Baradouni.2010.P.727,728)

كما شئت فتّش ... أين أخفي حقائبي أتسألني من أنت ؟ .. أعرف واجبي

أجب ، لا تحاول، عمرك ، الاسم كاملا ثلاثون تقريباً (مثنى الشواجبي)
نعم، أين كنت الأمس؟ كنت بمرقدي وجمجمتي في السجن في السوق شاربي
رحلت إذن ، فيما الرحيل ؟ أظنّه جديدا ، أنا فيه طريقي وصاحبي
إلى أين ؟ من شعب لثان بداخلي متى سوف آتي ! حين تمضي رغائبي
جوازا سياحيا حملت ؟.. جنازة حملت بجلدي ، فوق أيدي رواسبي
من الضفة الأولى ، رحلت مهدّما إلى الضفة الأخرى ، حملت خرائبي
مراء غريب لا أعيه ... و لا أنا متى سوف تدري ؟ حين أنسى غرائبي
تحدّيت بالأمس الحكومة ، مجرم رهنت لدى الخباز ، أمس جواربي
من الكاتب الأدنى إليك ؟ ذكرته لديه كما يبدو ، كتابي وكاتب
لدى من ؟ لدى الخمّار ، يكتب عنده حسابي ، ومنهى الشهر ، يبتزّ راتبي
قرأت له شيئا ؟ كؤوسا كثيرة وضيّعت أجفاني ، لديه وحاجبي
قرأت . كما يحكون عنك . قصائدا مهرّبة بل كنت أوّل هاربي
أما كنت يوما طالبا ؟.. كنت يا أخي وقد كان أستاذ التلاميذ ، طالبي
قرأت كتابا مرة ، صرت بعده حمارا ، حمارا لا أدرى حجم راكبي
أحبّبت ؟ لا بل مت حيا من التي ؟ أحببت حتى لا أعي ، من حبائبي
وكم متّ مرات ؟.. كثيرا كعادتي تموت وتحيا ؟ تلك إحدى مصائبي

فالقصيدة – هنا – جاءت على صيغة حوارية يمكننا أن نقطعها إلى مقاطع حوارية يكون طرف الحوار الأول هو (الشاعر) وطرفها الثاني هو (المحقق). وعند تحليلنا لتلك العبارات الحوارية، يتكشف لنا بعداً مهماً يتمثل في الموقف الشعوري كل طرف من الآخر. فالشاعر يمثل طرف الحوار المدافع وصاحب الموقف الصلب بخلاف الطرف الآخر الذي يمثله المحقق والمتمثل في نواياه العدائية.

وتمثل المواجهة بين الطرفين بؤرة الصراع المحتدم في هذا المقطع الشعري حيث صار الحوار هو الوسيلة الدرامية الضامنة في نجاح سير الحوار الذي يتحقق دراماً بفعل الدوافع الخفية والنوايا المتعارضة داخل النص وليس خارجه عبر السؤال والجواب. ويستمر هذا الحوار القائم على الموقفين المتعارضين في القصيدة ذاتها كما في قوله: (البردوني، 2010، ص728 729) (Al-Baradouni.2010.P.728,729)

وماذا عن الثوار ؟ حتما عرفتهم ! نعم حاسبوا عني، تغدّوا بجانبي
وماذا تحدثتم؟ طلبت سجارةً أظنّ وكبريتاً .. بدوا من أقاربي
شكونا غلاء الخبز قلنا ستنجلي ذكرنا قليلا موت (سعدان ماربي)
وماذا ؟ وأنسانا الحكايات منشد (إذا لم يسالمك الزمان فحارب)
وحين خرجتم ، أين خبّأتهم ، بلا مغالطة ؟ خبأتهم ، في ذوائبي
لدنيا ملفّ عنك شكرا لأنكم تصونون . ما أهمبلته من تجاربي
لقد كنت أميّا حمارا وفجأة ظهرت أديبا مذ طبختم مأدبي

خذوه خذوني لن تزيدوا مرارتي دعوه دعوني لن تزيدوا متاعبي

فالشاعر هنا عندما استخدم صيغة السؤال والجواب في هذه القصيدة؛ كان يهدف إلى تحقيق الصيغة الدرامية، وإدخالها في بنية القصيدة الحديثة من خلال المواجهة بين الطرفين المتعارضين بطريقة مباشرة، تتكشف من خلال الأبنية اللغوية التي تحقق المشهدية الدرامية الناجزة بصورة ناضجة.

وفي هذه الحوارية تتكشف بنية السؤال والجواب في صورتها الناجزة بين المواقف المتعارضة التي تحقق الصيغة الدرامية، فالمقاطع الحوارية مثلاً (أين كنت الأمس) و(وماذا تحدثتم).. وإلخ؛ هي صيغ قد تبدو شكلية في السياق الشعري، لكنها تكتسب بعداً درامياً ينضح بحيوية فاعلة في تجربة الشاعر الكلية، وتنقل القصيدة عنده من طورها التقليدي إلى طورها الحداثي.

2. **السؤال التقريري الذي خلا من أداة السؤال:**

إنَّها تتمثل في العبارة التقريرية التي هي تقريرية في لفظها لكنها في مغزاها في صيغة سؤال. وعلى سبيل التمثيل نرى كيف تحققت هذه الصيغ الدرامية لبنية السؤال، كما يقول: (البردوني، 2010، ص697) (Al-Baradouni.2010.P.697)

يا براميل القمامات إلى أين تمضين؟ إلى دور الثقافة

كل برميل إلى الدور؟ نعم وإلى المقهى..؟ جواسيس الخلافة

ثم ماذا؟ ورصيف مثقل برصيف، يحسب الصمت حصافة

يتصدر النداء ليحتضن بنية السؤال المبطن كما في السطر الأول (يا براميل القمامات) معلنة إلى أين تمضي؟، وهذا الإعلان يجعل الجواب عن السؤال متوجهاً إلى المكان الذي تذهب إليه وهو في دور الثقافة.

فالسؤال المقصود به هو قول الشاعر(كل برميل إلى الدور؟) الذي جاء في صياغة تقريرية متضمنة في بنيتها اللغوية سؤالاً مبطناً، والقرينة التي جعلت من العبارة التقريرية سؤال هي الإجابة المتمثلة في قوله: (نعم). وعندما قال (إلى المقهى؟) فهذا يعني تحول من مضمون الجملة التقريرية إلى صيغة سؤال مبطن آخر، كما في الشطر الثاني من البيت، حيث جعل من تقدير عامل شبه الجملة (الجار والمجرور). ومن هنا يمكن تقدير السؤال ما الذي يذهب إلى المقهى؟ يأتي الجواب جواسيس الخلافة.

وقد يأتي السؤال(ما الذي؟) الذي يصبح تأويله متروكاً للمتلقي كي يمارس تصوره على وصف أنه تفاعل حقيقي يبادر به الشاعر، كما في هذا المقطع من القصيدة يقول: (البردوني، 2010، ص697) (Al-Baradouni.2010.P.697)

ههنا قصف، هنا يهمي دم ربما سموه توريد اللطافة

ما الذي؟ من أطلق النار؟ سدى زادت النيران والقتلى كثافة

وعلى كلٍّ تصبح هذه الصيغة السؤالية المختزلة متروكة للمتلقي كي يقدر فاعلية السؤال وما يمثله من صيغة درامية تعمل على إدهاش المتلقي ومفاجأته.

وقد يأتي مثال آخر للسؤال المبطن في بنية الجملة التقريرية كما في قوله(لم يعد للقتل وقع) كما في هذا المقطع الذي يقول: (البردوني، 2010، ص697، 698) (Al-Baradouni.2010.P.697,698)

وزحام السوق يشتد، بلا نظرة عجلى، بلا أي انعطافة

لم يعد للقتل وقع؟ ربما لم تعد للشارع الداوي رهافة

وهكذا ترتبط بنية السؤال من الشطر الأول من البيت الثاني بمثال آخر للجملة التقريرية (لم يعد للقتل وقع) وقد يريد بالجملة التقريرية أن تقوم بدور السؤال من دون أن تدخل عليها علامة سؤال كما في هذا المقطع المذكور.

(ب) <u>المستوى الثاني المتمثل في الأداء السردي</u>:

وقد يأتي السؤال عاملاً أساسياً في كيفية عرض القصيدة وذلك من خلال تنامي الشخصيّات الفاعلة في النص، كما يقول: (البردوني، 2010، ص794) (Al-Baradouni.2010.P.794)

أيّها العفريت نم أقلقتني ابتعد عن سرّتي، ماذا التجرّي؟

أصبَحَتْ سرّيّتي لافتةً فوق وجهي، وجداراً فوق ظهري

كيف أُخفي والقناديل هنا وعلى ظهري وكالات التحرّي

كلّ مستورٍ تعرّى، إنّما سرق الأنظارَ تزوير التعرّي.

تشكّل شخصيّة (البطل) في هذا المقطع الشعري سمةٌ بارزة، حيث يبدو السؤال من خلال الصيغ السردية التي يتراءى من خلال بنائها لكنه لا يكون مستقلاً عن بقية الأنماط الشعرية الأخرى، بل تراه يمتزج معها لينمو الحدث ويسير إلى غاياته المرجوة ليكون السؤال (ماذا ستشري)هو فاتحة هذا الملمح السردي والمسؤول عن تنامي تلك الأحداث في معمار القصيدة كلها حيث يقول: (البردوني، 2010، ص795) (Al-Baradouni.2010.P.795)

الثريّا آه مثلي تمتري قل لها يا (مشتري) ماذا ستشري؟

في هذا المقطع الشعري يخرج السؤال من دائرة السرد إلى دائرة الدراما من دوان يتجرد السرد من أي موقفٍ ذاتيّ يتمثّل في الانفعال بحال الآخر؛ أي يشكل هذا التداخل المشهدي والسردي موقفاً ذاتيّاً موضوعياً في آنٍ؛ ليجسد الانفعال الداخلي والخارجي وموضحاً للرؤية والموقف.

ثانياً: الدوائر البنائية لبنية السؤال:

(أ) الدائرة البنائية الأولى للسؤال:

تمثل هذه الدائرة البنائية في القصائد التي تستهل بالسؤال ليعود السؤال فيبرز في نهايتها وكأنه يدور في فراغ، وعلى سبيل التمثيل، يقول: (البردوني، 2010، ص762) (Al-Baradouni.2010.P.762)

ماذا هنا أفعله؟ يشغلني.. أشغله

أعطيه نارَ داخلي ما عنده يبذله

يجرحني، أحسه يشربني آكله

يمتصني، أذيبه يحرقني، أشعله

يذهلني عن عدمي عن عمقه أذهله

قد تأتي صيغة السؤال الاستهلالية متصدرة بنية المقطع الشعري لتشكل جملاً تقريرية تجعل من السؤال الذي تنامى من الفعل (ماذا أفعله؟) ونراه وكأنَّه يتكرر ضمنياً في ضمن تعينات الأفعال الأخرى التي أتت بعده، (ماذا يشغلني؟، ماذا أعطيه نار داخلي؟، ماذا يجرحني، ماذا يشربني؟، ماذا يمتصني؟، ماذا يحرقني؟، ماذا يذهلني؟). فكل هذه التكرارية للأفعال ما هي إلا صيغ سؤالية وإن لم تدخل عليها علامة سؤال، غير أنها صارت أسئلة بفعل تناميها وتوالدها من صميم السؤال الرئيس الذي تصدر بنية المقطع الشعري (ماذا هنا أفعله؟) ومن هنا يمكننا أن نعمم هذه الصيغة السؤالية على بقية أبيات النص الشعري.

ومما يؤكد هذه الدائرة البنائية عودة الشاعر نفسه في المقطع الثاني من القصيدة الشعرية التي احتضنت هذه الصيغة السؤالية البنائية، حيث يقول: (البردوني، 2010، ص762) (Al-Baradouni.2010.P.762)

ماذا هنا؟ أرفضه ماذا هنا أقبله؟

من ذا هنا؟ يقتلني من ذا هنا أقتله؟

ويعدُّ تكرار خاصية الصيغة السؤالية بنية المقطع الشعري ملمحاً بنائياً كما في البيتين الأول والثاني (ماذا هنا؟ أرفضه، ماذا هنا أقبله/ من ذا هنا؟ يقتلني، من ذا هنا؟ أقتله) ليسير بالنص في مسار من التوازي الصوتي والدلالي. من هنا نستنتج من أن القصيدة كلها تحمل أسئلة تتعلق بالحدث في بعديه المكاني والزماني، لكنه سرعان ما عاد في البيت الآتي في القصيدة ذاتها؛ بهدف تحقيق إعادة لبنية السؤال الأول، كما في قوله: (البردوني، 2010، ص762) (Al-Baradouni.2010.P.762)

ماذا أقول ياهنا؟ وما الذي أعمله

فالسؤال الذي تصدر بنية المقطع الشعري كان موجهاً إلى المكان بهدف تحقيق يحقق نوعاً من المعرفة المكانية، ليعطي الصيغة السؤالية خاصة بنائية عملت على تشكيل القصيدة وإطالة معمارها البنائي، كما في قوله: (البردوني، 2010، ص762) (Al-Baradouni.2010.P.762)

ماذا؟ ومثلي ميت هذا الذي أسأله

فالصيغ السؤالية كان يفترض أن تكون منذ بداية القصيدة أن تكون طرفاً آخر توجه من السائل من جهة وتوجه إليه من جهة أخرى، بهدف تحقيق نوعاً من المعرفة، أو يدخل معها السائل في حوار صراع يحقق من خلاله الوجود المتمثل في هيئة الامتلاء.

(ب) الدائرة البنائية الثانية للسؤال:

تمثل هذه الدائرة البنائية في القصائد التي يؤسسها السؤال في حال وقوعه في مفصلها. فالقصيدة التي يقوم بناؤها على أساس هذه الدائرة من مقدمة تجريدية، تشغل فقرة من القصيدة، ويغلب عليها التعميم، كما في بدايتها التمهيدية التي تكون المعاني فيها كلية وعامة، والرؤية شمولية ولا ظهور فيها للأنا في حالة تساؤل أو من دون تساؤل، بل يتعلق الحديث بالآخر، ولا طرافة في هذا، ثم يأتي بعد ذلك سؤال الشاعر أو أسئلته المنبثقة من تلك المنطقة التجريدية والمنعكسة عليها

في الوقت نفسه، فيكون ذلك بمثابة الانتقال من الكلي العام إلى الفردي الخاص، كما يقول: (البردوني، 2010، ص741) (Al-Baradouni.2010.P.741)

شيء بعيني جدار الحزن يلتمع يهيم، يخبر عن شيء، ويمتنع
يريد يصرخ، ينبي عن مفاجأة لكنه– قبل بدء الصوت– ينقطع
يغوص، يبحث في عينيه عن فمه تغوص عيناه فيه، يقتفي، يدع
عما يفتش، لا يدري، يضيع هنا يقوم يبحث عنهن وهو مضطجع
يومي إلى السقف، تسترخي أنامله تمتد كالدود كالأجراس تنزرع

فالقصيدة من خلال هذا ترسم صورة أكثر إبهاماً وليس هذا فحسب، بل توغل من أن تكون صورة غرائبية تستمد مقوماتها من منابع سوريالية أو فنتازية لكنها تتضح على الرغم من هذا بمعاني الخوف والقلق والضياع، وعندئذ يأتي السؤال المفصلي، كما يقول: (البردوني، 2010، ص741) (Al-Baradouni.2010.P.741)

من أين يا باب يأتي الرعب؟ تلمحه من أي زاوية يعشوشب الوجع؟

ومن هذا السؤال تتوالد كل الدلالات العميقة التي تأخذ أشكالاً غرائبية التي نطالعها في سائر هذا البيت الذي جاء كله تفصيلاً لحالات الخوف المرعب ومشاعر الألم الشديد.

(ج) الدائرة البنائية الثالثة للسؤال:

تمثل هذه الدائرة البنائية في القصائد المؤسسة على عنصر السؤال الذي ترد صيغته في مستهل كل فقرة لتكون الفقرة نفسها امتداداً وتوليداً لما يستبطنه هذا السؤال، ومثاله كما في قوله: (البردوني، 2010، ص669) (Al-Baradouni.2010.P.669)

مَن ذَلكَ الوجهُ؟ يبدو أنَّه (جندي) لا بَل (يريمي) سأدعو جد مبتعدِ

ثم تسير أبيات القصيدة الشعرية بيتاً بعد الآخر لكي تبرز صورة هذا الوجه؛ أي صورة صاحبه، ثم يأتي السؤال في مستهل المقطع الآتي: (البردوني، 2010، ص670) (Al-Baradouni.2010.P.670)

من أين يا ابني؟ ولا يرنو، واسأله أدنو قليلاً: صباح الخير يا ولدي

وهكذا يظل التناسل بين هذه الدلالات المستبطنة في القصيدة المذكورة التي يشكل في ذاتها السؤال عملية بنائية قائمة على التتالي السردي الذي ينهض بالتجربة الشعرية في جعلها في مواجهة الذات وموضوعها المنشطر منها لتؤسس منزعاً صادحاً تواجه به الاغتراب بكل أبعاده النفسية والمكانية.

وقد تبلغ البنائية الدرامية ذروتها، وتتراءى القصيدة جملاً متقابلة منشطرةً بين سرود إخبارية ومشاهد إنشائية، فينبثق السؤال منها، ويسطع الجواب في آنٍ كما يقول:(البردوني، 2010، ص796) (Al-Baradouni.2010.P.796)

ما الذي يا ريح؟، مثلي لا تعي ما الذي يا برق؟ يرنو وهو يسري
ما الذي يا آخر الليل ترى؟ ما الذي يا فجر؟ يومي سوف تدري

وقد يتكرّر نسيج المقطع الشعري في نسقٍ متشابه تمزقه الذات الشاعرة بما أتت به من قوة، وهو المتمثل في شخصية البطل(الفجر)، التي كانت آخر شخصيّات القصيدة ذات الفاعليّة النصية، فتظهر جملة السرد الإخبارية (سوف تدري) آملة أن تقود الحدث المتنامي إلى مشارف يقينٍ ومعرفةٍ بحث عنهما بطل القصيدة في تعبٍ وضنى؛ ليجد بعد ذلك يقيناً لكنّه يقين شابه الظنّ وأختلط به وفيه(البار، 2011، ص5)(Al-Bar.2011.P.5)، كما يقول: (البردوني، 2010، ص796) (Al-Baradouni.2010.P.796)

ربّما أصبحت شيئاً ثانياً تزدري ما كنت قبل الآن تطري

فارتضاء البطل هنا بتلك النزعة المستسلمة نحو الانهزام، وقد أجهده البحث عن حقيقة ذلك القادم من أعماق الغيب، كما في قوله: (البردوني، 2010، ص796) (Al-Baradouni.2010.P.796)

حسناً، من أسأل الآن؟ إلى أيّ أكتاف الربى أحمل صخري؟

وهنا تُختتم القصيدة بالسؤال كما أُفتتحت به، والغاية من تلك البنائية القائمة على السؤال، تهدف إلى إنطاق أفئدة المتلقّين كي يجيبوا عنها كيفما شاء لهم الوعيُ والإدراك.

وخلاصة ما سبق: نرى أن الشاعر البردوني قد جعل من السؤال مبنىً يمتاز بخصوصيات فنية أساسية جعلت من مبانيه ما يميزه عن سواه، ويختلف بها عن غيره، ومن تلك الخصائص الفنية البارزة ما انسربت في الملامح الأسلوبية في صيغها الدرامية والسردية التي جاءت في عرض فكرة القصيدة ومعناها القائم على السؤال، ومنها ما جاءت في تمثيلات بنائية شكلت معمارية القصيدة التي تتأسس على نوعية السؤال، وهندسة معناه وجاءت في تشكيلات اتسمت بالفنية الجمالية، وهذا ما منح القصيدة عند البردوني حداثية فنية وإن جاءت في شكلها العمودي.

النتائج:

خلص البحث إلى أن السؤال في شعر عبد الله البردوني يمثل:

- ظاهرة موضوعية يتم من خلالها تأليف الوطن من خلال الحب والانتماء من جهة، وتعرية الواقع بهدف اصلاحه وتنقيته من الذبول من جهة ثانية، واستعادة التاريخ للاستفادة منه وتقييم الحياة والذات حتى صار معادلاً موضوعيا لهما طموحاً وانكساراً من جهة ثالثة، وتشكيل الوجود شعرياً بهدف التأمل فيه من جهة أخيرة.
- موضوعاً جديداً، بوصف السؤال رسالة شعرية مكتنزة تتوجه إلى مساءلة الآخر أو الواقع أو الكون ومحاورته والتأمل فيه من جهة، ومعبرة عن عوالم خبيئة تكتنز تحتها دلالات جديدة جاءت لتكشف عن جوانب إبداعية في مسار التجربة الشعرية الكلية لدى الشاعر البردوني من جهة أخرى.
- تحولاً فنياً ناضجاً، حيث استطاع من خلاله أن ينقل القصيدة من صوتها الذاتي الغنائي إلى أصوات متعددة وأبعاد أكثر موضوعية.
- علامة فارقة في مسار تطور التجربة الشعرية الكلية لدى الشاعر البردوني حيث استطاع من خلال السؤال أن ينقل القصيدة من طورها التقليدي إلى طورها الجديد(الدرامي والسردي الملحمي) محققاً معايير الحداثة في متن القصيدة التي جاءت محافظة على شكلها العمودي البيتي.

- ميزة إبداعية استطاع من خلالها أن تتجلى معمارية البناء الشعري وانفتاحه على الأجناس الأدبية حتى أعطى للقصيدة مساراً جديداً تكشفت من خلال دوائره البنائية عناصر الحداثة ومعاييرها الفنية.

المصادر

- ابن منظور، محمد بن مكرم(1996): لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت.
- أبو الحسن، اسحاق بن وهب الكاتب(1969) : البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حفني محمد شرف، ط1 الناشر مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، القاهرة.
- اسماعيل، عز الدين(2002): البردوني شاعر الأسئلة، مجلة الكويت العدد 227، الكويت.
- الامارة، علي(2009): السؤال فضاء شعريا (ديوان – حرائق التكوين – أنموذجاً)، مجلة الناقد العراقي، أول موقع عراقي مختص بالنقد، العراق.
- البار، عبد الله حسين(2011): بناء القصيدة في شعر البردوني، دراسات أدبية منشورة على موقع الشاعر الكبير الأستاذ عبد الله البردوني على الانترنت.
- البردوني(2010): الأعمال الشعرية، ط1، اصدارات تريم عاصمة الثقافة الاسلامية ، اليمن.
- بلبع، عيد مهدي(1999): أسلوبية السؤال رؤية في التنظير البلاغي، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر.
- الحواس، مسعودي(1997): البنية الحجاجية في القرآن الكريم سورة النمل أنموذجاً، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد12.
- الرقيق، عبدالوهاب(1998): في السرد، ط1، دار محمد علي الحامي، تونس.
- الشاطبي، ابراهيم بن موسى اللخمي (1997): الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، ص1، الجزء الرابع، دار ابن عفان، القاهرة ، مصر.
- الشامي، ألطاف اسماعيل أحمد(2019): حجاجية السؤال في شعر البردوني، بحث منشور في مجلة آداب المستنصرية، العدد87، العراق.
- الشهري، عبد الهادي(2004): استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، المغرب.
- صليبا، جميل(1982): المعجم الفلسفي ، ط1، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، المكتبة المدرسية، بيروت، لبنان.
- علي، هشام(2009): البردوني واليمن وطن يؤلّفه الكلام، من بحث مقدم في مهرجان البردوني جامعة ذمار، اليمن.
- فتحي، إبراهيم(1988): معجم المصطلحات الأدبية، ط1، دار المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقي، تونس.
- القرآن الكريم.

- مجاهد، أحمد(2006): أشكال التَّناص الشِّعري، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.
- معجم اللغة العربية المعاصرة على الأنترنت arabicterminology.com
- مفتاح، محمد(1985): إستراتيجيَّة التناص، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- يوسف، حسني عبد الجليل(2001): أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

References:

- Abu al-Hasan, Ishaq bin Wahb al-Katib (1969): The proof in the faces of the statement, achieved by: Hafni Muhammad Sharaf, 1st edition, Publisher, Youth Library, Al-Risala Press, Cairo.
- Al-Bar, Abdullah Hussein (2011): The construction of the poem in Al-Baradouni' s poetry, literary studies published on the website of the great poet, Professor Abdullah Al-Baradouni on the Internet.
- Al-Baradouni (2010): Poetic Works, 1st Edition, published by Tarim, the capital of Islamic culture, Yemen
- Al-Emara, Ali (2009): The question is a poetic space (Diwan - The Fires of Genesis - a model), the Iraqi Naqid magazine, the first Iraqi website specialized in criticism, Iraq.
- Al-Hawas, Masoudi (1997): The argumentative structure in the Holy Qur' an Surat Al-Naml as a model, Journal of Language and Literature, Institute of Arabic Language and Literature, No. 12.
- Ali, Hisham (2009): Al-Baradouni and Yemen are a homeland composed by speech, from a research presented at the Al-Baradouni Festival, Dhamar University, Yemen.
- Al-Raqeeb, Abdel-Wahhab (1998): In Narration, 1st Edition, Dar Muhammad Ali Al-Hami, Tunisia.
- Al-Shami, Altaf Ismail Ahmed (2019): The Hajjajiyah in Al-Baradouni' s Poetry, research published in Al-Mustansiriya Adab Journal, Issue 87, Iraq.
- Al-Shatibi, Ibrahim bin Musa Al-Lakhmi (1997): Al-Muwafaqat, investigated by: Abu Obeida Mashhour bin Hassan, pg. 1, Part IV, Dar Ibn Affan, Cairo, Egypt.
- Al-Shehri, Abdel-Hadi (2004): Discourse strategies: a pragmatic linguistic approach, 1st edition, United New Book House, Tripoli, Morocco.
- Balbaa, Eid Mahdi (1999): The stylistics of the question: a vision in rhetorical theorizing, 1, Dar Al-Wafa, Alexandria, Egypt.
- Fathi, Ibrahim (1988): A Dictionary of Literary Terms, 1st Edition, House of the Arab United Publishers Foundation, Workers' Association for Printing and Publishing, Sfax, Tunisia.

- Ibn Manzur, Muhammad bin Makram (1996): Lisan Al Arab, I1, Dar Sader, Beirut.
- Ismail, Izz Al-Din (2002): Al-Baradouni, Poet of Questions, Al-Kuwait Journal, Issue 227, Kuwait.
- Muejam allughat alearabiat ealaa alantirnit.
- Muftah, Muhammad (1985): Intertextuality Strategy, 1st Edition, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco.
- Mujahid, Ahmed (2006): Forms of poetic intertextuality, 1st edition, Egyptian General Book Organization, Cairo, Egypt.
- Saliba, Jamil (1982): The Philosophical Dictionary, 1st Edition, Part One, Lebanese Book House, School Library, Beirut, Lebanon.
- The Holy Qur'an.
- Youssef, Hosni Abdel Jalil (2001): Interrogative Methods in Pre-Islamic Poetry, 1st Edition, Foundation.